نجمة رواية الجزائر المناضلة

نشرت مجلة « اسبري » Esprit في العام الماضي تمثيلية بعنوان « الجثة المحاصرة » لأديب جزائري شاب يدعى كاتب ياسين جذب اليه انظار الادباء والاوساط الأدبية في تلك الفترة .

وقد نشرت دار « لوساي » اخيراً رواية بعنوان « نجمة » Nedjma للمؤلف نفسه أثارت اهتماماً كبيراً في الشهرين الاخيرين ورشحت لعدة جوائز ادبية . والمؤلف جزائري مسلم يكتب باللغة الفرنسية ، ولكنه لا يلتقي مع الفرنسيين إلا بوسيلة التعبير هذه ؛ فان اسلوبه في الكتابة وطريقته في معالجة القصة ومفهومه الايديولوجي ، كل ذلك يختلف أشد الاختلاف عن تقاليد الادب الفرنسي . والواقع ان كاتب ياسين يعي تميزه وتفرده في كتابته الادبية . وقد قال في حديث ادبي له إن من الخطأ الكبير ان يجمع المؤرخون الادبيون تحت صفة « كتّاب افريقيا الشمالية » ادباء فرنسيين كالبير كامو وجول روي وعمانوئيل روبلس ، وادباء قد « تمثّلهم » وهضمهم الادب الفرنسي الحديث كمعمري وممي وفرعون وديب ومالك اواري ، واخيراً عدداً من الشعراء والادباء الشباب ، منهم كاتب ياسين نفسه ، لا يريدون استعمال اللغة الفرنسية الا كأداة تعبير عن مشاعر ومفاهيم وافكار عربية بحت .

وقد كتب الناقد الفرنسي المعروف موريس نادو M . Nadeau منذ شهر في صحيفة « فرانس اوبسرفاتور » دراسة لرواية كاتب ياسين الأخيرة قال فيها :

« إن المؤلف يدخلنا في عالم لم يسبق للكتّاب الجزائريين ان ادخلونا فيه . وهو عالم غريب وغامض يلاقي القارئ فيه صعوبة كبيرة لجمع اطراف الرواية وتأليفها . فليس هناك صلات تربط بين الأزمنة والامكنة ، وليس هناك شخصيات محددة تساعد قصة كل منها في تشكيل « القصة » العامة المتطورة . وسواء كان فن الرواية روسياً ام انكليزياً ام المانياً ام فرنسياً ، فان له اصولا عامة احترمها حتى جويس وفولكنر قبل أن يتجاوزاها . اما كاتب ياسين ، فقد أهمل هذه الاصول واتبع طريقة مغايرة تماماً . فهو قد بنى عالماً كوكبياً أقام في وسطه شمساً هي « نجمة » يدور حولها عدد من الكواكب الكبيرة والصغيرة لكل منها نجمه الخاص . ولئن كانت الشمس ثابتة ، وكانت تلتمع دائماً بالكثافة نفسها ، فنحن لا نعرفها الا بانعكاساتها على الكواكب التي تحيط بها والتي تبعدها حركتها او تقربها من نورها . وكذلك الأمر في شأن النجوم . ولما كانت جميع هذه الكواكب سجينة الحركة نفسها التي تجعلها حاضرة ، ينتج عن ذلك اختلاط تام بين الماضي والحاضر والمستقبل . فالقصة تبدأ في لحظة معينة ، ثم تتطور ، وتقف ، وتعود الى النقطة الاولى ، ثم تتخذ وجهة اخرى تسلكها ردحاً من الزمن قبل ان تعود الى نقطة الانطلاق ، وهكذا دواليك . فنحن داخل حركة دائرية ، ولا تكني صورة الحجر الملقى في الماء لإيضاح هذه الحركة : فبدلا من ان تشمل التموجات « مساحة » ما ، فانها هنا تضغط « حجماً » من الزمان والمكان ندرك جميع نقاطه في نهاية الرواية . وباستثناء « نجمة » التي تكتفي بان تكون والتي لا تتحرك قط وتبدو دائماً هي نفسها بشعرها الناري وجمالها الذي لا يقاوم ونسبها الخفي والأهمية المشؤومة او السعيدة التي يعلقونها عليها ، نرى الأشخاص الآخرين يمرون بجميع ادوار الحياة ، فهم تارة شيوخ وطوراً شباب ، تارة بالغون ، وطوراً اطفال . ونرى اربعة منهم ينتمون الى جيل واحد هم : رشيد والأخضر ومراد ومصطفى ، يمرون بتجارب مختلفة ، ولكن الحب المتشابه الذي يكنونه « لنجمة » يمزج بينهم مزجاً شديداً حتى يصعب التمييز بين من يتكلم منهم وبين من يجري الحديث عنه .

اما « نجمة » فلا ريب في انها ترمز الى الجزائر الحرة المناضلة .

ويمكن تلخيص الرواية بان اربعة شبان يعيشون في نقاط مختلفة من الجزائر وقد شاركوا ، اذ كانوا طلاباً في المدرسة ، في الحركات الثورية التي قامت عام ١٩٤٥ ، فكان ان اوقفوا وطردوا من المدرسة وسقطوا في حضيض المجتمع فاشتغلوا بالأعمال اليدوية او بالتسكع . وبعد ان قام كل منهم بمغامراته التقوا عمالا في ورشة واحدة . هنا تبدأ القصة ، وهنا تقف في الوقت نفسه ، بعد ان انتقم أحدهم ، هو الأخضر ، من مدير الورشة الفرنسي الذي كان يسيء معاملته ، وقتل آخر ، هو مراد ، وكيل نقليات كان هو ايضاً فرنسياً ، وكان سادياً يتلذذ برؤية تعذيب المسلمين في الجزائر ،

كاتب ياسين

فاوقف مراد وزملاؤه الثلاثة ، ولكنه تمكن من الفرار ، بينما ظل الباقون في السجن ، يستعيدون ذكرى نجمة .

والأمر الذي يشد الشبان الاربعة ، اكثر مما تشدهم طفولتهم المشتركة ، هو أنهم أخذوا يكتشفون « نجمة » بالتتالي ، ووقعوا جميعاً في حبها ، وأخذ كل منهم يجتهد في التعرف على قصتها الغامضة. ويبدو انها ابنة رجل جزائري وامرأة فرنسية كان لها عدة عشاق . وكان احد هؤلاء السي مختار الذي خطفها وقتل زوجها الشرعي . وكان هذا الزوج والد رشيد الذي كان يمكن ، من هذه الزاوية ، ان يكون حبيب اخته التي تزوجت ، على غير علم منها ، بأخيها الحقيقي كامل ، وهو لا شك ابن السي مختار الشرعي . وهذه الحالة المتشابكة ، كما يرى ، تتعقد اكثر من ذلك باكتشاف علاقات عائلية جديدة بين الاشخاص او بين اولادهم من جهة ، ونجمة من جهة اخرى . وهكذا نغرق في قلب قصة قبلية تبدو امامها قصص العائلات التي هي من طراز قصص فولكنر سهلة الحل والادراك . ومهما يكن من امر ، لا نرى احداً من الادعياء الاربعة (وهناك شك في نسب احدهم على الاقل) ينجح في اجتذاب حب نجمة له .

ويحدث ان يخطف نجمة ابوها المفروض السي مختار ، ولكن ما يلبث ان يخطفها رجل من القبيلة ظل أميناً للجد الاول المدعو « قبلوت » والذي كانت حياته اسطورة . وقد قتل السي مختار على يد الرجل الذي خطف نجمة ، وكان زنجياً اسود ، وهو بذلك يلقي ضوءاً على تكوين هذه القبيلة التي اجتثها الفرنسيون وبددوها في ايام « بوجو » ، ولكنها كانت تنجح دائماً في ان تلتئم لتثأر من اعضائها الذين تعاونوا مع الغزاة ولتظل تعتبر « نجمة » ، بالرغم من انها ابنة امرأة فرنسية ، فتاة تنتمي اليها .

وحقيقة الجزائر ، في نظر المؤلف كاتب ياسين ، تكمن هنا ، في القبيلة ؛ هذه القبيلة التي قطّعها الفرنسيون وشردها وارادوا ان يجعلوا منها عائلات على الطريقة الاوروبية . غير ان هذه العائلات كانت تلتئم ابداً وتقاوم الغزاة ، سواء أكانوا رومانيين ام اتراكاً ام فرنسيين . ونحن نسمع المتحدث باسم المؤلف يقول : « لم نصبح بعد امة . إننا لسنا الا قبائل مشردة . وليس هناك اي تأخر في ان نشرف قبيلتنا ، الصلة الوحيدة التي تبقى لنا لنلم شعثنا ونجد أنفسنا ، حتى ولو كنا نأمل اكثر من ذلك . »

وعظمة عبد القادر ، في نظره ، تكمن في انه كان يحقق وحدة القبائل الجزائرية في الوقت نفسه الذي حطم فيه الفرنسيون جهوده لأكثر من قرن .

إن الوطن الجزائري حقيقة يقيمها المؤلف في وسط روايته . وترجع اصول هذا الوطن الى « نوميديا » **Numidie** القديمة التي استولى عليها الرومان ، ولا تدين روحه بشيء الى مفاهيم القومية الجديدة . إن هذه الروح قائمة على حب الارض وعلى علاقات مختلفة ومتنوعة تشد الناس الى بعضهم ، وصلات عائلية دقيقة ومعقدة ، وطموح شديد الى الاستقلال والحرية تدعمه كبرياء حربية لا تقاوم . إنها روح « متمثلة » تكره الغازي ولكنها تهضمه في الوقت ذاته ، وإن « نجمة » هذه ، التي هي امة جزائري وفرنسية ترمز في عين كاتب ياسين الى هذه الروح . « لم يكن للفرنسيين ، شأنهم في ذلك شأن الاتراك والرومان والعرب ، الا ان يبنوا جذورهم ، اذ كانوا رهائن الوطن الذي يتمخض والذي كانوا يتنازعون خيراته . » وإن الفرنسيين اذ يحاولون منع ولادة هذا الوطن ، فانهم يعملون ضده من غير شك ، ولكنه يعملون ضد انفسهم ايضاً . ولا بد لهذا الوطن ان يتكون بدونهم ، ولابد ان يطردوا منه ، بينما كان بوسعهم ان يجعلوا منه وطناً لهم يعيشون فيه الى جانب سكانه الاصليين . »

بهذه العبارة تنتهي دراسة موريس نادو عن « نجمة » رواية الكاتب الجزائري المسلم كاتب ياسين ، التي يرمز فيها الى روح الجزائر المناضلة .

« ترجمة الآداب »

مكتبة الأندلس

للطباعة والنشر ـ بيروت

تقدم وباعتزاز بعض انتاجها للعام الجديد

كتاب تاريخ الامة

في سبعة أجزاء كل جزء منها يختص عصراً من عصور العرب المجيدة

١ عصر الانبثاق ويشتمل على تاريخ العرب قبل الاسلام
٢ عصر الانطلاق ويشتمل على تاريخ عصر النبي الكريم (والخلفاء الراشدين
٣ عصر الاتساق ويشتمل على تاريخ عصر بني أمية
٤ عصر الازدهار ويشتمل على تاريخ العصر العباسي الاول
٥ عصر الانحلال ويشتمل على تاريخ العصر الأخير
٦ عصر الاندحار ويشتمل على تاريخ سقوط بغداد
٧ عصر الانبعاث ويشتمل على تاريخ النهضة العربية منذ (حركة الحسين

تأليف
الدكتور محمد أسعد طلس

•

رواية ابن حامد

أو سقوط غرناطه

تصور صفحة رائعة من تاريخ العرب في الأندلس
في آخر ايام ملوك بني الأحمر
تأليف الشاعر الخالد
فوزي المعلوف

•

مذكرات جريح

ملحمة عيد الغدير

تأليف الأديب اللبناني الكبير الشاعر
بولس سلامة